

الفصل الأول

مطامع القرون الوسطى والحملات الصليبية

في عام (١٨١٩) أُتيح للقارئ الألماني أن يقرأ في كتاب (غوته) "الديوان الغربي- الشرقي" مندهشاً، الكلمات التالية: (إذا كان الإسلام هو من عند الله كما يقال، إذاً لنعش جميعاً مسلمين، ولنمت مسلمين). فقد كان هذا التصريح من (غوته) اعتراف صحيح بالقيم الروحية للإسلام. وهو اعترافٌ ما كان أحد ليجرؤ على الجهر به قبل ذلك بسنوات قليلة. وهو اعترافٌ يبدو اليوم أيضاً كلاماً غريباً على سمعة المواطن الغربي.

فمنذ ظهور الإسلام، كانت علاقة أوروبا مع هذا الدين ومع الثقافة التي رافقته، علاقة تسودها الريبة وسوء الفهم، إن لم نقل علاقة تتسم بروح العدائية والكراهية الواضحة في حالات غير قليلة.

لقد سأل مسيحيو القرون الوسطى أنفسهم - وكذلك المسيحيون اليوم يسألون أنفسهم السؤال نفسه- كيف أمكن بعد اكتمال ظهور عقيدة الخلاص المسيحية، أن يظهر دين جديد لا يكتفي بالادّعاء بأنّه يمتلك الحقيقة وحده، وبأن محمداً نبيَّه هو خاتم الأنبياء، بل إنه يندفع على غير المتوقع كالسيل الجارف ليبسط سلطانه على أجزاء واسعة من العالم المسيحي القديم في حوض البحر المتوسط؟ وكيف أمكن للعرب بعد مرور مئة عام على وفاة النبي محمد r عام ٧٣٢م أن يصلوا إلى جنوب فرنسا ليواجهوا لأول مرة في طريقهم الملك (كارل مارتل) الذي استطاع إيقاف زحفهم ؟ وبناءً عليه تساءل المسيحيون أيضاً عن حقيقة هذا الدين الإسلامي، وما إذا كان حالة من حالات الزندقة والإلحاد العديدة التي واجهتها المسيحية من داخلها، والتي انتشرت واتسعت على حساب الكنيسة الكاثوليكية؟

لا بد قد وصل الأمر إلى حد أن بعض الأساطير الخرافية التي أطلقها بعضهم زعمت بأن محمداً كان (كاردينالاً) خائباً آبقاً مرتداً، أراد تأسيس دين جديد انتقاماً من الكنيسة.



ومن الأدلة التي ساقها هؤلاء للتدليل على صحة زعمهم- وخاصة منهم أولئك الذين اشتغلوا بالدراسات القرآنية- كون بعض آيات القرآن تستند -والمسلمون يقولون تتشابه - على ما ورد في بعض نصوص كتابي العهد القديم والجديد.

ومن أمور الخلط العجيب والغريب التي شاعت بين المسيحيين في وقت مبكر، الاسم (محمد)، فهو عندهم (ماهو ميت)، وفي هذا إشارة إلى كونه هو نفسه المسيح الدّجال الذي يظهر محاطاً بأصحابه من الجن والعفاريت، ولم يكتفوا بذلك، بل زعموا أنّ (ما هو ميت) يدّعي الألوهية وله ارتباط واضح بالإلهين الإغريقيين (أبولو) و(تيرفاغنت) المحاطين بأتباعهما من (الماهوميريسر)، والتصور القائم على فكرة (الرب ما هوميت) نراه واضحاً في كلمات أناشيد التنصيب الملكية الألمانية في القرنين الساس عشر والسابع عشر.

ولقد دأب الأدباء الأوربيون منذ العصور الوسطى على تضمين أعمالهم الأدبية فكرة أن المسلمين يعكفون على عبادة تماثيل لمحمد، وقد بدا ذلك جلياً في قصائد "لوحات ماهو ميس الذهبية" التي تصنف ضمن إطار القصائد الرومانسية في الشعر الألماني. أمّا فِرَق الغناء الحِواري الفرنسية، فإنها لم تتورع عن إلصاق كل القبائح بالنبي العربي، حتى أن هذا النبي - برأي البعض منهم - كان دائم الشرود والحيرة من شدة الخَبَل والسُكر.

أمّا على صعيد الواقع العملي، فإننا نجد الإسلام في أبهى صورة وأجملها منذ عام (٧١١م) عندما أصبح جاراً مباشراً للمسيحيين في الغرب.

ولقد قام العرب في ذلك العام بقيادة (طارق بن زياد) بعبور مضيق جبل طارق البحري- مازال اسم هذا القائد يُطلق حتى اليوم على هذا الممر البحري- وأسسوا في قرطبة مملكة إسلامية تُعدُّ من أبهى الممالك وأروعها في مطلع القرون الوسطى. وقد كان لهذه الدولة أعمق الأثر على الثقافة الإسبانية، ومن ثمّ الثقافة الغربية عموماً.

وكانت إسبانيا وصقلية تشكّلان المركز الرئيسي لاستقطاب مختلف العلوم والمعارف العربية والإسلامية، ثم أصبحتا بعد ذلك مركز إشعاع لهذه العلوم والمعارف إلى مختلف البلدان الأوروبية.

ومن جانب آخر، قامت منذ زمن بعيد علاقات تبادل تجاري بين بلدان الخلافة الإسلامية وبلدان شمال أوروبا، وقد تمَّ العثور في شمال أوروبا على عشرات آلاف القطع النقدية العربية التي تعود للفترة من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر، هذا بالإضافة إلى ظهور العديد من الوثائق العربية عن المبادلات التجارية والبعثات التجارية العربية إلى شمال أوروبا، وهذا كلّه يُعدّ دليلاً واضحاً على الحجم الكبير الذي وصلت إليه التبادلات التجارية بين الطرفين في تلك الفترة.

وشهدت تلك الفترة أيضاً حدثاً هاماً جداً، تمثّل في بعثة (هارون الرشيد) إلى الملك (كارل الأكبر)، وهو الحدث الذي خلّده الفنان (نوتكير بالبولوس) في لوحة فنية رُسمت بأبهى الألوان.

وهذا الحدث هو الذي فتح جميع الأبواب فيما بعد أمام الغرب ليلج إلى ذلك العالم الأسطوري من فنون الزخرفة والتزيين.

وكون بعثة هارون الرشيد إلى الملك كارل الأكبر قد حملت معها هديةً ساعةً مائية قيّمة صُنعت في بغداد آنذاك، فهذا يدل على المهارة الفنية والتقنية العالية التي كان قد وصل إليها الصُّنّاع العرب في ذلك الوقت، وهذه التقنية لم تُتح للغرب إلا بعد مرور عدة قرون على ذلك الحدث.

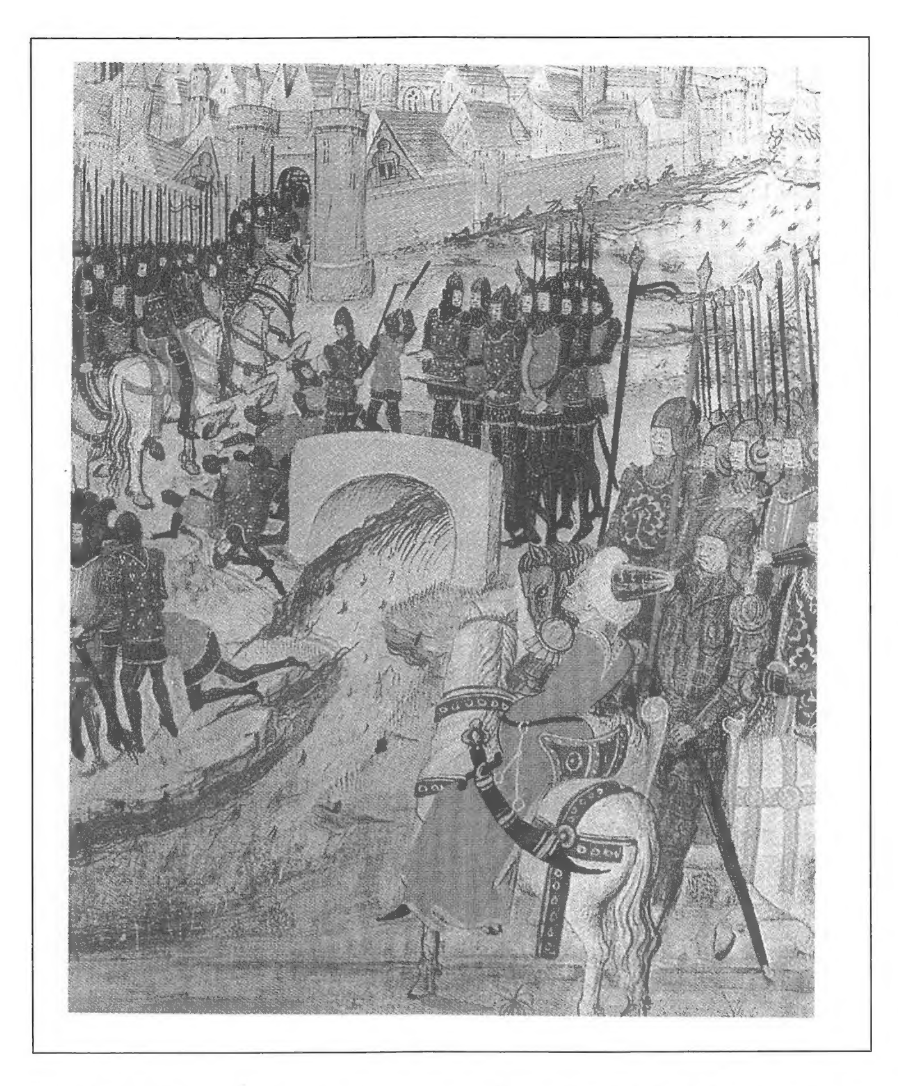
وفي منتصف القرن الحادي عشر، نجد أن شخصية "كارل الأكبر" كرمز، أصبحت هي محط التركيز في رحلات الحج الفرنسية إلى القدس رحلات حج "شارلمان".

وفي بداية الحملات الصليبية، جرى تكريس شخصية "كارل الأكبر" لتكون شخصية أسطورية في قصائد "رولاند" التي راجت في فرنسا حوالي عام (١١١٠م) ووصل الأمر إلى حد اندماج هذه الشخصية مع شخصية الملك "كارل مارتل" الذي أوقف زحف المسلمين على فرنسا.

وقد تداخلت مع هذا التعظيم والتبجيل مظاهر الكفر والوثنية. وإلى اليوم، مازال اسم "أوليفانت" يذكّرنا بالبوق العاجي المشغول بطريقة فنية رائعة، والذي كان يحمله "رولاند" عندما سقط في موقعة (رونسيفا).

ودائرة أشعار "رولاند" اتسعت لتصل إلى إيطاليا، حيث نُسج على منوالها مغامرات "أورلاندو" باللغة الفرنسية أخذه "بفافين كونراد" الألماني في عام (١١٧٠) وترجمه إلى اللغة الألمانية، ليصبح النشيد الذي يردده طلاب الشعر التعليمي ضد أعداء العقيدة. وهذا النشيد يصوّر الحرب التي يخوضها أهل حضارة الخير ضد أهل حضارة الهمجية والشر، وعادت لترتفع من جديد كل الشعارات والأفكار المسبقة ضد من يُسمّونهم عُتاة الكفر...

ويتضح لنا مما سبق نوع العقلية التي كانت سائدة لدى الغربيين أثناء فترة الحملات الصليبية. ففي تلك الفترة من القرون الوسطى، كان جميع الشعراء الألمان ابتداءً من الشاعر "هارتمان" إلى الشاعر "راينمار" وانتهاءً بالشاعر "فالتهير"، مسكونين بهاجس تعبئة المسيحيين للقتال ضد الكفار المسلمين الذين يسيطرون على القبر المقدس، ولكن الشاعر "فالتهير" كان يملك ما يكفي من الحكمة والوعي ليقول حينها إن الله وحده هو الذي يعلم ويقرر من هو الفريق الذي ستؤول إليه السيطرة على القبر المقدس في النزاع الناشب بين المسيحيين واليهود والكفار" الرب سوف يحكم بالحق".



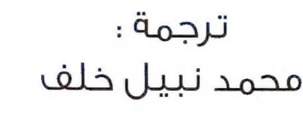
هذه الصورة تمثل لوحة فنية فرنسية عن تاريخ الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩) حيث قامت الجيوش المسيحية باحتلال القدس ضمن حملة الحرب المقدسة.

والكلمة العربية (الجهاد) أخذت في وقت متأخر معنى (الحرب المقدسة)، إذ أن كلمة (الجهاد) تعني في الأساس السعي في سبيل الله، والجهاد بالتالي معناه الدفاع، ومعناه أيضاً العمل من أجل توسيع رقعة انتشار الإسلام...

أوروبا في مواجهة العالم الإسلامي

تأليف : آنّا ماري شمل

ترجمة :
محمد نبيل خلف







أوروبا
في مواجهة العالم الإسلامي



ⓗ دار السيد للنشر ، ١٤٣١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شمل ، آنّا ماري

أوروبا في مواجهة العالم الإسلامي.

آنّا ماري شمل ؛ محمد نبيل خلف .

الرياض ، ١٤٣١ هـ ..ص ؛ ..سم

ردمك: ٩-٢- ٩٠٠٧٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام و الغرب ٢- اوروبا - العلاقات الخارجية

العالم الإسلامي

أ. خلف ، محمد نبيل (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٢١٤,٩٤ ١٤٣١/٢٧٠٣

رقم الإيداع : ١٤٣١/٢٧٠٣

ردمك: ٩-٢- ٩٠٠٧٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١- ٢٠١٠

دار

السيد

Al SAYED

PUBLISHING للنشر

بالاتفاق مع دار كولهامر بألمانيا